الكتابة الفلسفية
لـدى برتراند رسـل

المـدرس
سنا صباح آل خالد
جامعة البصرة- كلية الاداب

الخلاصة :

يعد رسل واحدا من ابرز فلاسفة القرن العشرين ومن المعالم البارزة في الفلسفة عموما، وإن أهمية البحث في الكتابة الفلسفية لدى رسل ، هي لفحص الصلة بين مواقفه الفكرية والطرق التي تصاغ بها وزيادة فهمنا لنصه الفلسفي ، وللتعرف على شكل من أشكال الكتابة الفلسفية ، خاصة ونحن بصدد فيلسوف عرف عنه ، أن له منطقه الخاص في عرض أفكاره ، وما امتازت به كتاباته من براعة أسلوبه ، وجمال عبارته ، ودقتها ووضوحها وبساطتها . فقد جعل من العبارة البسيطة الواضحة أداته لتحسين العالم .

و لم تأخذ الكتابة الفلسفية لدى رسل شكلاً واحداً ، بل تنوعت بين المقالة والمحاضرات والكتب. ويبدو ان المقالة كانت أحد الأشكال التي اعتمدها رسل بشكل كبير في الكتابة ، ويمكن لما توفره المقالة من أداة ، هي أكثر ملاءمة للاستجابة لضغط الأحداث وتلاحق المشكلات، وأبدع رسل في كتابة المقال ، التي كانت تتلاءم كشكل من أشكال الكتابة مع فكره ، لما توفره من أمكانيات، فكانت أداته التي يستخدمها تارة للمهاجمة ، وتارة للتبشير بافكاره .

Abstract

Russell is considered as one of most famous philosophers of the twentieth century and in philosophy generally. The importance of the research in the philosophical writing to Russell is to check the relation between ideological attitude and the methods which are formulated of, the increasing of our understanding to his philosophical text, the recognizing one form rather than other in the philosophical writing. We are now talking

about a philosopher who is known of his own logic in showing his thoughts and how his writings are distinguished of skillfulness style and beauty of expressions in their authenticity, clarity and simplicity .so, he made from the simple and clear expression his medium to improve the world.

Russell's Philosophical writings did not take one form, but they were variety of essays, lectures and books. Considerably, it seem that essay is one form which Russell accounts on in his writings, because as a medium, an essay is the most convenient to respond to the pressure of the events and the followed problems. Russell did well in writing essays which were suitable as one form of writing to his thoughts, and of gaining the capability. So, it was the medium which he used once to attack and once to bring good news of his thinking.

إن أهمية البحث في الكتابة الفلسفية لدى رسل ، هي لفحص الصلة بين مواقفه الفكرية والطرق التي تصاغ بها وزيادة فهمنا لنصه الفلسفي ، وللتعرف على شكل من أشكال الكتابة الفلسفية ، خاصة ونحن بصدد فيلسوف عرف عنه ، أن له منطقه الخاص في عرض أفكاره ، وما امتازت به كتاباته من براعة أسلوبه ، وجمال عبارته ، ودقتها ووضوحها وبساطتها . فقد جعل من العبارة البسيطة الواضحة أداته لتحسين العالم .

وربما كانت الكتابة عن كتابة رسل الفلسفية من المجازفات الكبيرة ، لما تتضمنه هكذا دراسة من صعوبات ، وهي أن التعرف على الكتابة الفلسفية في آثاره تتطلب " إعادة قراءة كتاباته الفلسفية وهي كثيرة ومتنوعة ، وتتطلب ان يتم ذلك بتوجه يتجاوز مجرد الاستيعاب الى نوع خاص من التقويم لا يقف عند الأفكار ودلالاتها والاقيسة والأحكام المنطقية ونسق بناء العبارات ، بل يتناول أيضاً أشكال التعبير والعلاقات المعقدة المتشابكة بين بُنى الأفكار وطبقة وحدات المعنى وطبقة وحدات العرض وتنظيم الموضوعات والصياغة ، بما يحمل ذلك من اشكاليات يثيرها تأمل العلاقة بين نظم التفكير والتحليل ، ونظم التعبير " [١] .

يضاف الى ذلك غزارة الانتاج الفكري وتنوعه ، بين الفلسفة والرياضيات والمنطق والاجتماع والاخلاق والسياسة والدين وغيرها من الموضوعات المختلفة . وتنوعت أشكال التعبير لديه بين مقالات وكتب ومحاضرات ومقابلات تلفزيونية نشرت بعد ذلك على هيئة كتب .

كذلك امتداد حياته ما يقرب القرن (١٨٧٢ – ١٩٧٠) وعيشه في فترة عصيبة من مراحل التاريخ البشري ، وكان له من أحداثها السياسية والعلمية مواقف واضحة، عبر عنها بطرق مختلفة . فكانت كتاباته بحق مرآة عكست هموم وأزمات عصره ومن ثم كانت كتاباته وليدة وقتها ، لذا لا يندر ان نجده تبنى رأيين متناقضين في حقب مختلفة ، ولا يميل رسل الى تعديل او تغيير مواقفه الفكرية في طبعات لاحقة من الكتاب ذاته ، فكل فكرة لديه تنتمي الى زمان معين . وقد عبر عن موقفه هذا في مقدمة الطبعة الثانية ، لكتابه " أصول الرياضيات " يقول : " محاولة إصلاح هذه المسألة او تلك في الكتاب الذي لم يعد يعبر عن آرائي الحاضرة ، اما قيمة الكتاب فهي قيمة تاريخية من جهة أنه يمثل مرحلة معينة في تطور الموضوع الذي نعالجه، من أجل ذلك لم أغير فيه شيئاً " [٢] .

لذلك كان الإرث الفكري لرسل يعبر بوضوح عن سعيه الدؤوب نحو الحقيقة ، ورغبته في المعرفة الصحيحة ، التي امتزجت بالحذر والشك وفحص الأفكار وعدم قبولها دون تحليل ، الى جانب براعته المنطقية ودقة تفكيره . فقد بدأ حياته الفكرية بأتباع ما كان سائداً ، متأثراً ببرادلي ، بعد ذلك ثار ضد المثالية مع جورج مور ، وظهرت لهم أعمال تناهض المثالية ، وأصبح كلاهما آبا لما يعرف بالفلسفة التحليلية ، وأتخذ رسل من التحليل منهجاً أتبعه في الفلسفة لتوضيح مشكلاتها ، وكان لطريقته في التحليل المنطقي للغة تأثير كبير في الدراسات المعاصرة .

اما جهوده الفكرية الأولى ، فكانت منصبة على اهتماماته الرياضية والمنطقية ، وكان عام ١٩٠٠ من الأعوام الحاسمة في تطوره الفكري ، فقد التقى في أثناء المؤتمر الدولي للفلسفة ببيانو Peano ، وقد أعجب بطريقة بيانو في معالجته للقضايا الرياضية والمنطقية ، من ثم اتجاه رسل نحو محاولة ايجاد صلة بين الرياضيات والمنطق وإيجاد لغة رمزية بسيطة تعبر عن الحقائق الفلسفية ، ومن ثم تمكننا من التخلص من بعض المشكلات الفلسفية ، التي ساهم عدم الدقة في استخدام اللغة باستمراها ، ونشر في هذه المدة " مبادئ الرياضيات " ١٩٠٣ ، ومن ثم " أصول الرياضيات " مع وايتهد ١٩١٠ – ١٩١٣ ، وعددا من الأعمال الفكرية التي أحدثت انتقالة كبيرة في تاريخ المنطق والرياضيات .ونشرت بعد ذلك عدد من الأعمال التي اعتمدت على كتابات رسل المنطقية والرياضية ، فكانت أعماله فتحاً جديداً في المنطق .

لم يقتصر الإرث الفكري لرسل على المنطق والرياضيات ، بل اتجه بعد ذلك نحو مشكلات الفلسفة التقليدية ، فاحتلت نظرية المعرفة حيزاً من تفكيره ، وتمخض عن ذلك كتابات عدة منها "

مشاكل الفلسفة " و " معرفتنا للعالم الخارجي " ليصبح أحد مؤسسي مذهب الواقعية الجديدة ، اما اهتماماته العلمية فبرزت في كتاباته من خلال محاولته الجمع بين الفلسفة والعالم في فلسفة علمية جديدة ، وقد حاول ذلك من زاويتين ، من حيث تطبيق المنهج العلمي على أساس البحث الفلسفي ، وذلك يتمثل بصفة خاصة في كتابه " الفلسفة بنظرة علمية " وكذلك محاولته الافادة من نتائج العلم وتطويعها لرحابة التفكير الفلسفي ، وذلك يتمثل في عدة نظريات منها " الذرية المنطقية " .

يمكن القول ان الذرية المنطقية ، هي التعريف الوحيد الذي أرتضاه رسل لنفسه ، فعندما سئل في محاورة تلفزيونية أي نوع من الفلاسفة يمكن ان تعد نفسك ؟ أجاب رسل : التعريف الوحيد الذي أرتضيه لنفسي هو تعريف الذرية المنطقية . اما معنى ذري منطقي . هو أن الطريقة التي نصل بها الى معرفة طبيعة أي موضوع من موضوعات البحث هي التحليل . وذلك بان نظل نحلل في الموضوع مرتداً به إلى عناصره الأولية التي لا يمكن تحليلها الى ما هو أقل منها ، هذه العناصر الأولية هي الذرات المنطقية ، وأنا أسميها ذرات منطقية لأنها ليست جزيئات صغيرة من المادة، وإنما هي أفكارنا عن المادة التي يتألف منها الشيء [٣] . ويختلف التحليل تبعاً للمستوى الذي نمارسه فيه لاكتشاف الذرات ، فالذرات في مستوى الجمل والقضايا هي العبارات البسيطة التي لا يمكن تجزئتها إلى قضايا أو جمل أصغر منها . أما الذرات في مستوى الكلمات فهي الوحدات البسيطة التي لا يمكن تجزئتها إلى كلمات أصغر منها . والذرات في فلسفة رسل هي المفردات مثال ذلك المحمولات والعلاقات والألوان وغيرها[٤] .

كما انصرفت جهود رسل الفكرية في أعماله الأخيرة ، نحو المعاناة البشرية فكتب في الأخلاق والسياسة والاجتماع والتربية والدين . وربما ان صح القول ان كتابات رسل أفضل من يعبر عن الثلثين الأولين من القرن العشرين ، بكل أحداثه ، فقد ارتبطت بشكل كبير بها .

لم تأخذ الكتابة الفلسفية لدى رسل شكلاً واحداً ، بل تنوعت بين المقالة والمحاضرات والكتب ، فكتب ٢٠٠٠ مقالة [٥] . ويبدو ان المقالة كانت أحد الأشكال التي اعتمدها رسل بشكل كبير في الكتابة ، ويمكن لما توفره المقالة من " أداة المفكر المصاول والمصلح المبشر لما فيها من إمكانية الاستجابة السريعة لما يجري في الحياة اليومية التي تتطلب ردود أفعال مستمرة حيال مشكلات الفكر والواقع ، وهي أكثر ملاءمة للاستجابة لضغط الأحداث وتلاحق المشكلات " [٦] وأبدع رسل في كتابة المقال ، التي كانت تتلاءم كشكل من أشكال الكتابة مع فكره ، لما توفره من أمكانيات ،

فكانت أداته التي يستخدمها تارة للمهاجمة ، وتارة للتبشير بافكاره . فكان جمال اللغة وبساطة العبارة ووضوحها ودقتها سمة بارزة لكتاباته وهو ما جعل القارئ العادي يأنس بها . فتحريه استخدام الألفاظ الواضحة الدقيقة ، مبتعداً عن الألفاظ الغامضة وغير الدقيقة الفضفاضة . التي تحتمل أكثر من معنى ، والتي كانت مصدر الكثير من الإشكالات الفلسفية ، ويرى ان الكثير من مشكلات الفلسفة نشأت عن إساءة استخدام اللغة . وهذه الفكرة أساسية في فلسفته ، وقد تجلت بكتاباته التي اتسمت بوضوحها ودقتها وبساطتها .

واذا كانت الكتابة موجهة الى الغائب " فأن الكاتب هو الذي يشكل هذا الغائب ، أو يختار له نمطاً خاصاً من الوجود وهو أمر لا بد منه لاقامة علاقة معه " [٧] اما شكل العلاقة التي يختارها رسل مع قارئه ، فهو يخاطب قارئاً يعده صديقاً ، فيقيم معه حواراً حراً ، وينتقل معه انتقالا هادئا منتظما من مقدمات الى نتيجة ، ويتوجه اليه بالأدلة ، لاقناعه ، وكتاباته لا تتوجه الى مستوى معين من القراء من المختصين، وانما هي موجهة الى القارئ العادي ، لذا يميل الى اللغة البسيطة الواضحة ، ويكثر من الاعتماد على الأمثلة التي يستمدها من التاريخ . وعرف عنه بقدرته الهائلة على عرض أصعب المسائل بلغة بسيطة واضحة للقارئ غير المتخصص ،مما يسمح لجمهور القراء فهم كتاباته ،بخلاف بعض الفلاسفة الذين يميلون لأستخدام الاسلوب المجازي او غيرها من الاساليب، الذي يسمح لعدد من الافراد لفهم النص واقصاء باقي الجمهور.

كما ان نوع العلاقة التي يقيمها الكاتب مع القارئ ، تعرفنا بطريقته في النظر للعالم ، وما ينبغي ان يكون عليه . فبعضهم يتوجه بكتاباته نحو أصحاب الاختصاص ، وبعضهم الى فئة بذاتها او الى طبقة معينة او الى امة بعينها . وهو من ثم يعبر عن نظرته للوجود . وما ينبغي ان يكون عليه ، اما رسل فكان يخاطب كل أفراد الجنس البشري ، ويسعى لاقامة حوار حر معهم ، مما يتلاءم مع شخص كان شاغله الأكبر هو تخليص البشرية من معاناتها وآلامها ، والتصدي لكل أشكال العقائد او المسلمات التي أعاقت تطور الإنسان.

يمكن تصنيف كتابات رسل إلى صنفين ، أولها موجه إلى القارئ العادي ، والثانية موجهة إلى القارئ المختص ، ويبدو ان كل كتاباته بالرغم من تنوعها ، كانت تتحرى الوضوح والبساطة والدقة في العرض . ويبدو ان دقة ووضوح عبارته ، قد اكتسبها من تعامله المستمر مع الرياضيات ،فكان يقضي ساعات باحثا عن اقصر طريق للتعبيرعن شيء مبتعدا عن الغموض [٨]،وعند مقارنة كتاباته

الموجهة إلى نوع خاص من القراء من المختصين ، فأنها تمتاز بوضوحها ، عند مقارنتها بكتابات مناطقة او فلاسفة اخرين .

وهناك ميل للاعتقاد ان رسل عندما يؤلف كتبا ًتعالج موضوعات يفهمها عامة الناس فأن مستواها يقل عن مستوى مؤلفاته في الرياضيات ، والمنطق والفلسفة ، ولكن رسل يرى غير ذلك ، فقد تضمنت الحروب السياسية والاجتماعية التي صاحبها جهدٌ متأجج العاطفة استغرقت كل وجدانه . وقد لا تكون الصعوبات التي واجهته عند تأليف كتبه العامة هي الصعوبات نفسه التي واجهته عند تأليف كتبه المتخصصة ولكنه جابه عند تأليف كتبه العامة صعوبات إضافية تتمثل في الشعور الذي يلتهب بالخيال ، كما تتمثل في حث الناس على الاقتناع بها [٩] .

وربما يكون مستوى مؤلفاته العامة أقل من مستوى كتاباته المتخصصة ، لما تفرضه الكتابة الأخيرة من كثافة في الأفكار ، ولغة تقنية متخصصة ، إلا أنها تحتاج أيضاً الى نوع من القراء الذين يملكون حداً معيناً من الوعي ، مقارنة بغير المتخصصة . بيد ان هذا النوع من الكتابة الموجه إلى القارئ العادي تحتاج الى معرفة واسعة باللغة ، ووعي بثقافة الفرد العادي ، ليتمكن الكاتب من إيصال الفكرة لأكبر عدد من القراء بأبسط العبارات ، ويوازيها جمال الأسلوب ، ووعي عال بالواقع الاجتماعي وحس تاريخي ، يجعله ينتقي أدلته وأمثلته بالشكل الذي يتناسب مع اختلاف مستويات القراء ومشاربهم الثقافية ، ومن ثم قد تحتاج الكتابة للقارئ العادي مستوى عاليا من إمكانيات الكتابة والثقافة . ولكن ربما قد يصل بعض الاحيان تبسيط الفكرة والاستطراد في عرض الامثلة الى الشعور بالملل او تشتيت ذهن القارئ بسب الاستغراق في التحليل والامثلة .

كما يشير وود أن رسل كان يصر على التمييز الكامل بين آرائه الفنية المختصة كفيلسوف وبين كتاباته السياسية واليومية ، وليس في هذا أي تناقض منطقي . فمن المسموح به استخدام كلمة " حر " بطريقة مختلفة في الفلسفة عنها في السياق البلاغي [١٠] بما تتحراه البلاغة من تأثير في المستمع او القارئ ، يمكن القول ان تحري البلاغة كان هدفا له في بعض كتاباته.

ان معظم كتابات رسل تمتاز عند تناوله لأي فكرة او موضوع ، بالوقوف عند بداياتها وعرضها بدقة ووضوح وعلى درجة كبيرة من الموضوعية والبساطة غير المخلة بالفكرة ، ثم الوقوف على أهميتها التاريخية ، وما استطاعت تقديمه ، وبعد ان ينتهي من تحليلها ، يبدأ بعرض موقفه الفكري منها . ولا يغيب عنه عند معالجته لأي موضوع الجانب العلمي والاجتماعي والنفسي والاقتصادي

والسياسي ، والتاريخي .لكن هذا لايعني ندرة المقالات والكتب التي يفتتحها بأن يهوي بمطرقته على الموضوع ،على سبيل المثال لا الحصر مقالته التي تحت عنوان ((لست شيوعيا)) ، في الوقت ذاته نجد في مقالته ((لماذا لست مسيحياً؟)) معنى كلمة مسيحي والمقصود منها واستخدامها ليدخل بعد ذلك في الموضوع .

ويبدو ان رسل في انطلاقته من الشك للبحث عن الحقيقة ، يستخدم نصل اوكام في التخلص من العناصر غير الجوهرية وتقليص العالم الى حقائق غير قابلة لمزيد من التقليص .

كما امتازت كتاباته باهتمامه بالنظرة التاريخية او الحس التاريخي ، مما جعله يهتم كثيراً بتفسير الأفكار في سياقها التاريخي ، ومن ثم تظهر كتاباته وكأنها في نسق واحد . فالأفكار بالنسبة اليه أحداث تنتمي الى فئات اجتماعية ، فكان حريصاً على تتبع الأفكار في نشأتها وحركة تحولها ووصلها بواقعها الاجتماعي او العصر الذي ظهرت فيه وبالفئات التي قبلتها او رفضتها .

كان التهكم ميزة أتسمت بها كل أحاديثه وكتاباته ، فشكلت أحياناً كثيرة أداة فعالة لمواجهة صرامة الموضوعات التي يقف منها العقل موقف تبجيل دون إخضاعها للسؤال والبحث ، وأيضاً لما تضيفه من تأثير فعال على القارئ ، وشد انتباه القارئ والمستمع ، وحيوية للنص . ويرى وود أن لدى رسل نزعة لا ترعوي إلى النكتة ، تلك النزعة التي جعلته دائماً يقول أشياء تهدف إلى إدخال التسلية واثارة الدهشة وفتح أبواب الجدل [١١] .

ولا بد من الإشارة إلى أن بعض كتب رسل هي عبارة عن محاضرات القيت في الجامعات ، مثل كتابه عن ليبنتز وتاريخ الفلسفة الغربية والذرية المنطقية أو محاضرات اذاعية ، "ككتابه في السلطة والفرد " او مقابلات تلفزيونية نشرت بعد ذلك على هيئة كتاب تحت أسم " حوار مع شيخ الفلاسفة " او " محاورات بتراند رسل " وان بعض كتبه عبارة عن مقالات نشرت في مراحل مختلفة ،ثم طبعت على هيئة كتاب ، كما في كتابه "التصوف والمنطق "الذي تضمن عشرة مقالات ظهرت بأوقات متباينة . [١٢] ومن ثم امتازت تلك الكتابات بما تمتاز به المحاضرات من استطراد في القول وطرح للأدلة والأمثلة ، بهدف توضيح وافهام واقناع المستمع والانتقال المنظم في العرض مع تحري الوضوح ، والاهتمام بمستوى المتلقي ، واستخدامه للعبارات الساخرة ، مع الأمثلة المرتبطة بالواقع الاجتماعي .

يبدو أن رسل كان حريصاً في كتاباته بالابتعاد عن استخدام عبارات قطعية في عرض موقفه الفكري ، فعلى سبيل المثال يستخدم عبارات مثل " ربما ، إلى حد ما ، أو فرض أو اقتراح " ، وربما كان ذلك لتأثير الرياضيات والمنطق في تحريهما الدقة والوضوح ، واعتماده على نتائج العلم وهي ومن ثم في تطور مستمر فلا يمكن القطع بصحتها.

يمكن القول ، ان كتابات رسل امتازت ، ببراعته في تعامله مع النصوص الفلسفية، وفي طريقة توظيفه لها في عرض افكاره . وربما ان صح القول قراءة رسل للنص الفلسفي ، كانت من جانب ابستمولوجي ومن جانب نقدي ، فمن الناحية الابسيتمولوجية ما يقوم به من البحث عن أصول التفكير ومعاييره وقواعده، ويهتم بتحليل الاليات والطرائق التي يستخدمها العقل في إنتاجه للمعارف في مختلف الميادين الفكرية ، وبإرجاعه سائر الأشياء الى أقل عدد ممكن من البسائط ، فكتب في تحليل العقل وتحليل المادة . والتحليل كمنهج اتبعه رسل في كل كتاباته ، فلا يكاد يتناول أي موضوع بالبحث الا وتحلله الى عناصره الأولية . وعندما نقف عند كتاب " السلطان " الذي يقدم فيه آراء جديدة في الفلسفة والاجتماع ، كما يشير عنوانه الفرعي ، تتجلى براعة رسل في عرضه لنظريات الفلاسفة ونصوصهم . ومن ثم يدلل ذلك على تمثله لفكرهم وفهمه العميق الذي يتضح من بساطة ووضوح عباراته، فهذا الكتاب هو محاولة لأقامة الدليل على ان السلطان هو المفهوم الجوهري في العلوم الاجتماعية . وبعد ان يعرض رسل نظرياته الاجتماعية في السلطان ، ينتقل رسل ليتتبع وجودها في الفلسفة . فيقول ان السلطان هو " الحافز الواعي او اللاواعي ، للفيلسوف في غيبياته وفي احكامه الاخلاقية ... اما الفلسفة فتكون عادة صادرة عن وحي رغبة مسيطرة ، تضفي عليها صفة الترابط والالتحام "[١٣] ومن ثم يعرج على دراسة بعض الفلسفات التي يوحي بها الى حد كبير تعشق السلطان ، فيرى ان السلطان ليس هو مادة الموضوع بالنسبة الى هذه الفلسفات ، ولكنه الحافز الواعي او اللاواعي للفيلسوف . وبعد ان يتم عرض النقاط التي تجعل منها فلسفات السلطان ، يسجل رسل موقفه منها خلال قيامه بدراسة العلاقة بينها وبين الحياة الاجتماعية ، ومدى إمكانية ان تصبح طرازاً معيناً من الحياة الاجتماعية ، والنتائج التي تترتب على قيامها ، وبعد دراسة آثارها الاجتماعية ، بين كيف انها تدحض نفسها تلقائياً ، واستطاع استخدام تلك الفلسفات لتأكيد نظريته الاجتماعية .

إن نظام تفكيره الرياضي العلمي ، ظهر بوضوح في موضوعيته وتحليله لأفكاره، ونظامه في التعبير عنها ، كما امتازت كتاباته باستخدامه أحداث الآليات المنهجية والكشوفات المعرفية المنتجة في العلوم المختلفة . ويبدو ان رسل لم يكن مهتما كثيرا بوضع نظام فلسفي شامل او الالتزام بمذهب فلسفي واحد . وربما ان صح القول فأن بعض كتاباته كانت مقتصرة الى حد ما على التحليل و النقد .

ويبدو ان كتاباته كانت مرتبطة الى حد ما بالوقت الذي كتبت به ، لذا يحتاج الباحث في مواقفه بالدرجة الاولى ان يكون على وعي بزمن تدوينها ، لان اعماله تمتاز بتغيير مواقفه الفكرية ،فلا نستبعد وجود موقفين متناقضين في كتاباته .

قدم رسل بعض المبادئ البسيطة لكتاب النثر الشارح وهي ،اولها : ((لاتستعمل كلمة طويلة اذا صحت كلمة قصيرة)) ، وثانيها : ((اذا اردت ان تقرر حقيقة مشروطة بكثير من الشروط فضع بعض هذه الشروط في جملة مستقلة)) ، وثالثها : ((لا تبدأ الجملة بما يشعر القارىءبشيء ينقضه آخرها)) [١٤]

بعد هذا العرض العام الموجز ، فأننا سنتناول بعض الجوانب مـــن دراساته :

أصول الرياضيات :

كتاب مشترك مع وايتهد ، يتكون من ثلاثة اجزاء . شكل هذا الكتاب فتحاً جديداً في المنطق ، بارجاع الرياضيات الى المنطق ، ويعد هذا الكتاب علامة بارزة ، ليس فقط في القرن العشرين وانما في تاريخ الرياضيات والمنطق ، فقد ساهم في تحسن صفة المنطق الرياضي تحسناً كبيراً ، فظهرت مسائل جديدة فيه .

لا يفاجئنا رسل بوضوح صيغه الرمزية ،ولكنها طريقة في البداية تحتاج الى ألالفة بالرموز ودلالاتها والاساليب الرياضية،متى ما الفها القارئ اصبحت اكثر يسرا. وان تكون لغته الرمزية أيسر في الأستخدام من لغة فريجة الرمزية ، فالوضوح سمة بارزة لكل كتاباته وشاغله الأكبر ، لذلك نراه يتدرج مع القارئ ، بدأ بتعريفه بالرموز ودلالاتها وما تستلزمه من قواعد ، لتظهر الصيغ بصورتها النهائية. وممكن ان نجد الآن لغات رمزية أيسر من لغة رسل ، فذلك يعود إلى أن لغة رسل كانت من اللغات الرمزية الأولى ، ومن ثم مسألة مقارنتها ، باللغات التي تلتها فيه أجحف لها . وأيضاً يمتاز طرح رسل بتقديمه لنماذج مختلفة من الطرق التي يمكن ان يسلكها في البحث .

وامتازت كتابته بمحاولته الوقوف على كل اجزاء الموضوع ، فمثلاً يبدأ بوضع حد للمنطق الرمزي ، ويتناول عرضا مختصرا لتاريخ ظهور تطوره ، ثم ينتقل لعرض اقسامه الثلاثة .

كما يقف رسل طويلاً عند مصطلحات أساسية في المنطق الرمزي ، ويسعى إلى اعطاء دلالات واضحة لها – أو ربما ان صح القول ان يستخدم مصطلحات بذاتها لتأكيد مسألة ما ، فمثلاً في هذا الكتاب يستخدم مفهوم الفئة class وهو مفهوم مماثل لمفهوم المجموعة set في الرياضيات ، وقد ورد المصطلحان بكتابات علماء المنطق وبعض الفلاسفة وعلماء الرياضيات [١٥] واستخدام رسل لمصطلح الفئة ، بالرغم من شيوع مصطلح المجموعة أكثر ،كما ان علم الرياضيات هو من عرفه بالمنطق ، إلا أن رسل يستخدم مصطلح الفئة ،ربما لتأكيد فكرة أسبقية المنطق على الرياضيات .

وكما أشرنا سابقاً ، ان رسل في تناوله لاي نص فلسفي ، يعرض أولاً الفكرة بأبعادها التاريخية، ثم بالوقوف عند سر قوة هذه الفكرة او ما أستطاعات تقديمه ، ثم ينتقل ليعرض الجوانب التي تجعلها غير مقبولة ، وهذا ما قام به في عرضه لموقف ليبنتز ،بعدّهِ من انصار فكرة ان الرياضيات عبارة عن استنباطات من أصول منطقية ، ثم ينتقل ليعرض الأخطاء التي وقع بها ليبنتز [١٦] .

مشاكل الفلسفة :

يعد هذا الكتاب ، من كتب رسل الأولى ، الذي برز به مذهبه الواقعي ، ونقده للمثالية ، وعرض فيه بعض المشكلات الفلسفية المتعلقة بالمظهر والحقيقة وطبيعة المادة والمعرفة المباشرة والمعرفة بالوصف والكليات وغيرها . ووضح فيه أسس فلسفته من خلال تأكيد على بعض المشكلات واستبعاد غيرها .

إن طريقة رسل في عرضه منسجمة مع نظرته إلى عملها انها : " تستطيع أن تثير أسئلة تزيد من اهتمامنا بالكون وتكشف عن الغرائب والمدهشات التي تكمن وراء ظواهر الأشياء " [١٧] ومن ثم نجد عرضه للموضوعات قائما على طرح السؤال الفلسفي ، والبحث في اجابات الفلاسفة عنه ، ثم يحلل أدلتهم وحججهم ليعرض موقفه منها . ويستعين رسل بالعلم في اجاباته على بعض تلك الاسئلة ، كما يبدو في بحثه لطبيعة المادة مثلاً .

أما طريقة رسل في تعامله مع النصوص ، فهي لا تختلف عنها في كتاباته الأخرى ، فمثلاً في الفصل المسمى المذهب المثالي ، يبدأ بعرض المقصود من المذهب المثالي ، والأساس الذي قام عليه ، وبعد ذلك يقدم أهمية هذه الفكرة ، وما استطاعت ان تقدم ، ثم ينتقل ليبدأ بتحليل عبارات

باركلي ، وأدلته . ليستكشف بعد ذلك الأخطاء التي وقع بها اصحاب المذهب المثالي ، فكان التحليل المنطقي سبيله لفحص ورفض حجج باركلي ومثاليته ، لذا يمثل بداية تطور جديد للمذهب الواقعي .

أهتم رسل كثيراً باللغة ، لاعتقاده انها مصدر الكثير من الخلط والمشكلات الزائفة منها ، ونجده يحلل العبارات بحثاً نحو الدقة والوضوح ، فمثلاً يقف رسل عند القول " بأننا لا نستطيع ان نعرف ان الشيء موجود طالما لا نعرفه " [١٨] ليبرز مكمن الخطأ في كلمة " نعرف " التي استعملت في معنيين مختلفين .

يصف وود اراء رسل في كتابه " مشاكل الفلسفة " انها مشروحة بوضوح عجيب، وتكمن أهميته بأنه يظل حتى الآن وفي كل مكان أفضل مدخل الى هذا الموضوع ، وبالرغم من هذا فإنه أمر يبعث في القارئ المبتدأ شيئاً من خيبة الأمل، عندما يفرغ من قراءته ويبتهج لقدرته على استيعاب كل ما جاء به ، ليكشف ان رسل قد غير رأيه تماماً فيما بعد بشأن عدد كبير من النقاط الواردة فيه [١٨] .

تاريخ الفلسفة الغربية وحكمة الغرب :

أرخ رسل للفلسفة في عملين ، يعدان من الكتب المهمة في تاريخ الفلسفة ، أولها تاريخ الفلسفة الغربية بثلاثة اجزاء وحكمة الغرب بجزئين ، وهو أكثر شمولاً وايجازاً من الأول . وفيه عرض لاراء بعض الفلاسفة والمذاهب الفلسفية التي لم يتطرق لها في مؤلفات أخرى . وقد امتاز عرضه بتتبع الأساس التاريخي لنشأة الافكار ، وتطورها في مذاهب او اتجاهات ، وصلته بمشكلات العصر وتوجهاته العامة وقيمه ، مع تركيزه على عرض صلة الأفكار بواقعها الاجتماعي والسياسي ، فالافكار هي أحداث .

اما تاريخه للفلسفة تميز ، انه يلاحظ نواحي ثلاثة هي : أولاً النص الفلسفي نفسه، فيعرض لاراء الفيلسوف ، وثانياً يحاول وضعه في مكانه في التاريخ العام أي الحقبة ، وثالثاً انه ينقد الفيلسوف من خلال نظرته الفلسفية ، فعرضه تاريخي نقدي [٢٠] .

امتاز عرض رسل التاريخي بمحاولته ابراز أثر الاحداث السياسية والاجتماعية على المفكرين البارزين ، وبالعكس ، ماذا كان تأثيرهم على التطورات السياسية والاجتماعية التالية لهم .

ويبدو ان احكامه ، قد تأثرت ، في بعض الاحيان ، الى حد ما باهتماماته الرياضية والمنطقية والعلمية ، فعلى سبيل المثال يقف في نقده طويلاً عند جهل بعض المثاليين وبرجسون بالرياضيات وعلى تعمدهم اثارة المتناقضات التقليدية التي حوتها فلسفة كانت و هيجل .

اما مسألة انتماء الكتابين الى تاريخ الفلسفة او تاريخ الفلاسفة فان حكمة الغرب ينطبق عليه مصطلح تاريخ الفلسفة أكثر . ويمكن القول ان كل كتب رسل تعد تاريخاً لهذه الحقبة ، فهي تعبر عن همومها ومشكلاتها وتطلعاتها .

الفلسفة بنظرة علمية :

ان عنوان الكتاب يفصح عن الطابع العام له ، أي النظر للفلسفة من وجهة علمية، وربما يمكن القول ان الفكرة العامة للكتاب هي محاولة استخدام احدث الطروحات العلمية لحل الإشكالات الفلسفية .

ولكون الكتاب متعلقا بالفلسفة ، لذا يستعرض رسل جانبا من مشكلاتها ، ويقتصر من هذه المشكلات على ما يمكن الوصول فيه إلى حل ، أن لم يكن قد وصلوا فيه إلى حل بالفعل ، ويشير فيه إلى الاتجاه الذي يتجه الفكر في حل هذه المشكلات ، وأنواع الحلول التي قد تتحقق مع الأيام [٢١] .

حدد رسل صلة الفيلسوف بالعلم وما يجب أن يأخذه الفيلسوف من العلم ، أصوله وطرائقه ومفاهيمه فلئن كان هدف العلم أن يدرج الحقائق المتفرقة في قوانين تجمعها فإن الفلسفة تأخذ منه قوانينه تلك لتجعل منها مادتها الخاصة التي منها تبدأ وعليها تقيم بناءها – إلا أن العلوم المختلفة تستعير من معاني الإدراك الفطري أشياء تتخذها نقطة ابتداء دون أن تناقشها ، فتأخذ مثلاً فكرة المادة والزمان والمكان والسببية ثم تجيء الفلسفة فتجعل من هذه البدايات نفسها موضع بحثها [٢٢] .

وقد أستخدم رسل أحدث الطروحات العلمية في بحثه لبعض التساؤلات الفلسفية ، فأعتمد على علم الفيزياء في الاجابة عن أسئلة المادة ، وبالرغم من صعوبة علم الفيزياء الحديث لامعانه في التجريد وليس من السهولة بسطها بلغة سهلة ، إلا أنه حاول التبسيط في عرضه . كما أمتاز عرضه بتتبع التطور التاريخي للمفهوم ، فمثلاً عندما يتناول مصطلح كالذرة ، فانه يسعى إلى تقديم تطور المفهوم ، ومن ثم يقدم للقارئ نبذة تاريخية مبسطة مع الوقوف عندما ساهمت به هذه الفكرة في حياة الفكر ويمكن القول أن رسل يقدم نصا إلى مختلف طبقات المثقفين ، كما أنه يسعى لإزالة كل اشكال اللبس لدى القارئ بعرضه المبسط، فعلى سبيل المثال لا الحصر عرض كيف اختفت المادة بوصفها شيئاً ذا صلابة معينة ،وحل محلها إشعاعات من مركز معين ،وكذلك كيف أدت النظرية النسبية إلى تحطيم صلابة المادة .

لا يستخدم رسل عبارات قطعية في كتاباته ، بما ينسجم مع وعيه بالحقيقة ، تتجلى في كتابته رغبة في المعرفة الصحيحة ، وأن امتزج بها الشك والحذر ، والبراعة المنطقية والدقة في التفكير والتعبير، فيقترب من الحقيقة ببطء ، دون أن يسلم بشكل نهائي بصحتها.

هوامش البحث

(١) الموسوي ، محمد جواد : الكتابة الفلسفية عند الدكتور زكي نجيب محمود ، مجلة أفاق عربية ، عدد ١١ – ١٢ / ٢٠٠٠ ، دار الشؤون الثقافية العامة – العراق ، ص٥٢ .

(٢) رسل ، برتراند : أصول الرياضيات ، ج١ ، ت. محمد مرسي أحمد وأحمد فؤاد الاهواني ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٨ ، ص٥ .

(٣) رسل ، برتراند : محاورات برتراند رسل ، ت. جلال العشري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩ ، ص١٥ – ١٦ .

(٤) خليل ، ياسين : مقدمة في الفلسفة المعاصرة ، ط١، مطبعة دار الكتب ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص١٠١ .

(5) Pigden , charles R. : Russell on Ethics, Routlede, London , 1999 , P.4 .

(٦) الموسوي : الكتابة الفلسفية عند الدكتور زكي نجيب محمود ، ص٥٣ .

(٧) الموسوي ، محمد جواد : في الكتابة الفلسفية ، مجلة أفاق عربية ، آيار - حزيران ، ٢٠٠٠ ، دار الشؤون الثقافية العامة – العراق ، ص ٥٨ .

(٨) رسل،برتراند:العقل و المادة ، ت . احمد ابراهيم الشريف ،مكتبة المتنبي ، القاهرة ،١٩٧٥،ص ٢٧٣.

(٩) وود ، الآن : برتراند راسل " سيرة حياته " ، ت. رمسيس عوض ، المجلس الأعلى للثقافة ، ١٩٩٨، ص١٢٢ – ١٢٣ .

(١٠) المصدر السابق ، ص١٤٩ .

(١١) المصدر السابق ، ص١١٠

(12) Russell , Bertrand : Mysticism and Logic and other essays , London , George Allen Unwin LTD , p.v .

(١٣) رسل ،برتراند :السلطان ، ت. خيري حماد ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص٢٨٣ – ٢٨٤ .

(١٤) رسل : العقل و المادة ،ص٢٧٦ .

(١٥) خليل ، ياسين : محاضرات في المنطق الرياضي ، مطبعة دار الحكمة للطباعة والنشر ، الموصل ، ١٩٩٠ ، ص٩٩ .

(١٦) رسل، برتراند : أصول الرياضيات ، ج١ ، ص٣٤ .

(١٧) رسل ، برتراند : مشاكل الفلسفة ، ت. عبد العزيز البسام ومحمود ابراهيم محمود ، مطبعة الشعب ، ١٩٤٧ ، ص٣٥ .

(١٨) المصدر السابق ، ص١٠ .

(١٩) وود ، المصدر السابق ، ص١١١ .

(٢٠) آل خالد ، سنا صباح : رسل والفلسفة المعاصرة ، نشر ضمن مجلة آداب البصرة ، العدد ٥٠ ، السنة ٢٠٠٩، ص٢٦٣ .

(٢١) رسل ، برتراند : الفلسفة بنظرة علمية ، ت. زكي نجيب محمود ، ممزق ، ص١ .

(٢٢) المصدر السابق ، ص٢ .